المجلد الثاني
العدد الثالث
مارس 2024

مجلة جامعة درنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
DERNA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Available online at https://dujhss.uod.edu.ly/
P-ISSN: 2959-6475 E-ISSN: 2959-6483 Impact Factor: 0.349

الوصف في شعر ابن عبدربه

أ.خالد سالم المبروك
كلية الآداب ، جامعة درنة

أ.علي عيسى رافع
كلية الآداب ،جامعة درنة.

https://www.doi.org/10.58987/dujhss.v2i3.12

تاريخ الاستلام: 2024/01/15 ؛ **تاريخ القبول:** 2024/02/19 ؛ **تاريخ النشر:** 2024/03/2

المستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى تتبع غرض الوصف في شعر ابن عبدربه، الذي ذاعت شهرته كأديب ومؤلف أكثر منه شاعرا، وليس أدل على ذلك من كتابه الشهير العقد الفريد. وابن عبدربه الشاعر انصرف في أول حياته إلى شعر الغزل والخمر، كغيره من الشعراء لكنه لم يلبث أن آب في آخر حياته– كعادة غيره من الشعراء– إلى شعر الزهد والحكمة. وسوف تحاول هذه الدراسة تسليط الضوء على غرض الوصف الذي لم يشتهر في شعر ابن عبدربه، ولم يحظ باهتمام الدارسين وعنايتهم.

الكلمات المفتاحية: وصف، شعر ابن عبدربه.

Abstract:

This study aims to trace the purpose of description in the poetry of Ibn Abd Rabbuh, who became more famous as a writer and author than as a poet, and there is no clearer evidence of that than his famous book, The Unique Contract. Ibn Abd Rabbuh, the poet, devoted himself at the beginning of his life to the poetry of flirtation and wine, like other poets, but he soon turned at the end of his life – as was the custom of other poets – to the poetry of asceticism and wisdom. This study will attempt to shed light on the purpose of description, which was not known in Ibn Abd Rabbuh's poetry, and did not receive the attention and care of scholars.

Keywords: Description؛ Poetry of Ibn Abd Rabbuh..

مقدمة

لا يكاد يخلو ديوان شاعر من شعراء الأندلس من غرض الوصف، ولا سيما وصف الطبيعة الأندلسية، التي كانت مثارا للإغراء والفتنة عند هؤلاء الشعراء، وهذا الغرض قد يكثر أو يقل في أشعارهم حسب ظروف حياتهم، ومن الشعراء الذين كثر هذا الغرض في دواوينهم، ابن عبدربه، وليس غريبا أن يطرق شاعرنا هذا الغرض بكثرة؛ فقد اشتهر بالنظم في غرضي الغزل والخمر، ولهذين الغرضين ارتباط وثيق بالطبيعة ووصفها، فحفلات الغناء وشرب والخمر غالبا ما تقام في أحضان الطبيعة، ووسط بساتينها ورياضها، كما يكثر الشعراء من الربط بين جمال المرأة وجمال الطبيعة، فيأتي الوصف لوحة فنية تشي بالبهجة والنور والضياء.

المجلد الثاني
العدد الثالث
مارس 2024

مجلة جامعة درنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
DERNA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Available online at https://dujhss.uod.edu.ly/
P-ISSN: 2959-6475 E-ISSN: 2959-6483 Impact Factor: 0.349

والحقيقة أن الوصف لم يبرز كغرض مستقل في مراحل حياة ابن عبدربه، فقد مال في شبابه إلى النظم في الغزل والخمر، رغم أنه لم يكن من الشعراء الذين يشار إليهم بالبنان، ثم عرف كشاعر للبلاط، خاصة في عهد عبدالرحمن الناصر، وقد أمضى في ذلك ردحا من الزمن، ولما علاه الشيب، وأحس يدنو الأجل، توجه كغيره من الشعراء إلى الزهد والابتعاد عن ملذات الدنيا، وقد كان له في ذلك طابع مميز، حيث عارض كل قصيدة غزل في شبابه بقصيدة يذم فيها الدنيا وينفر الناس من ملذاتها، وقد عرفت هذه المقطوعات بالممحصات.

ورغم عدم بروز الوصف عنده كغرض مستقل ، فقد امتزج الوصف عنده بالأغراض الأخرى، فكثيرا ما يشبه أخلاق الممدوح بالروض العطر، كما يكثر عند عن الخمر من وصف الغلمان والجواري وسقاة الخمر، وحتى عند بلوغه أرذل العمر، واتجاهه إلى الزهد، فهو يكثر من الوصف كتشبيهه للدنيا بالشجرة ، التي تبدو خضراء مبهجة، ثم تتساقط أوراقها وتذبل.

فالوصف يبدو طاغيا على أشعار ابن عبدربه في أغراضه المختلفة.

أما سبب اختيار الموضوع، فابن عبدربه، عرف في أوساط الناس كاتبا وناثرا، وقد اشتهر بكتابه العقد الفريد، وقلما اتجهت الأنظار نحو شعره، ولاسيما الوصف، كغرض برز عند هذا الشاعر، لذلك ستحاول هذه الدراسة إبراز هذا الغرض الشعري بشكل مفصل عند ابن عبدربه، وتبدو أهمية هذه الدراسة في توثيق هذا النوع من الشعر عند ابن عبدربه، وجمعه في دراسة واحدة مستقلة، تمكن الباحثين من الوصول إليه بسهولة.

وقد سبقت بعض الدراسات التي تحدثت عن ابن عبدربه كشاعر، ومن أبرز هذه الدراسات كتاب ابن عبدربه وعقده لجبرائيل جبور، وكتاب تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات) لشوقي ضيف وكتاب الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة لأحمد هيكل، غير أن ما حملته هذه الدراسات كان مجرد إشارات عابرة، ولم نقف على أية دراسة مستقلة حول موضوع الوصف عند ابن عبدربه، عكس الدراسات التي اهتمت بالغزل والزهد في أشعاره.

وقد اعتمدت هذه الدراسة المنهج التاريخي من خلال تتبع هذا الغرض ورصده في ديوان ابن عبدربه.

وستقسم هذه الدراسة إلى ثلاثة اتجاهات:

أولها: يخص الشاعر، ويتحدث عن نسبه ومكانته وشعره.

ثانيها: وصف الطبيعة، بنوعيها الصامتة والحية.

المجلد الثاني
العدد الثالث
مارس 2024

مجلة جامعة درنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
DERNA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Available online at https://dujhss.uod.edu.ly/
P-ISSN: 2959-6475 E-ISSN: 2959-6483 Impact Factor: 0.349

ثالثها: في وصف طبائع البشر، وصفاتهم ،وأحوالهم.

1-الاتجاه الأول: نسب ابن عبدربه ومكانته وشعره

أ-نسبه:

هو أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبدربه بن حبيب بن سالم القرطبي، مولى هشام بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان بن الحكم الأموي، ولد على الأرجح في قرطبة في شهر الصوم رمضان في العاشر منه سنة 246هـ، وهو ما يوافق التاسع والعشرين من تشرين الثاني سنة 860م(جبور 1933).

وقد نشأ ابن عبدربه في تلك المدينة الزاهية نهاراً، المضيئة ليلاً، التي تعد عاصمة الأندلس، وعروس مغرب الإمبراطورية العربية، نشأ في أحضانها، وترعرع في أزقتها النظيفة، ورضع من لبان ثقافتها وبهجتها، وشاهد بأم عينه أنسها وسرورها، فطبع ذلك كله في نفس ابن عبدربه(ابن عبدربه). طلب ابن عبدربه العلم مبكرا، حيث ألحقه بأحد الكتاتيب، ثم وجهه إلى الدراسة على الشيوخ في جامع قرطبة الكبير، فأخذ يختلف إلى حلقات الفقهاء والمحدثين واللغويين، من أمثال بقي بن مخلد، وابن وضاح الخشني(ضيف 1967). وقد أدخل هؤلاء الأندلس كثيرا من كتب المشارقة في الفقه والتاريخ والأخبار، وامتدت إلى دواوين الشعر ومؤلفات اللغويين، وقام على هذه الثقافات كتابه العقد الفريد، فأتى ممثلا لها، كما كان لها أثر في شعره أيضا(شلبي)، كان ابن عبدربه في شبابه لاهياً ولوعاً بالغناء لكن ذلك لم يمنعه الدرس والتحصيل فقد درس علوم العربية وروى الشعر وحفظ أيام العرب وأخبارها ونوادرها، ونظر في اللغة والنحو، فنبغ في جميع ذلك(خفاجي).

لقد تميز ابن عبدربه في عصر الإمارة، وأدرك عصر الخلافة، وقد اختلط بالجماهير وعامة الناس، ثم عاصر الخاصة والرؤساء، وكان واحدا من رجالات الوطن المشهورين(شلبي)، أصيب ابن عبدربه بالفالج آخر أعوامه، وتوفي يوم الأحد لثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى 327هـ، وهو ابن إحدى وثمانين سنة وثمانية أشهر وثمانية أيام، ودفن يوم الإثنين في مقبرة بني العباس(جبور 1923)

ب-مكانته:

يعد العقد الفريد صورة جلية، تكشف عن ثقافة الشاعر ونوعية مطالعاته، فيرى قارئه التاريخ والأدب والتمحيص في النوادر والطرائف ومطالعة الدواوين، والعمق في السيرة النبوية، ودراسة أخبار الصحابة والتابعين، ومعرفة المغنين والجواري، كما يلمس اضطلاعه في الفقه وعلوم القرآن والحديث وعلم العروض والقوافي، واطلاعه على حياة الخلفاء الأمويين والعباسيين، وعلى كتب النحو والصرف (ابن عبدربه)، ولا تخلو مصنفات المعاصرين له واللاحقين من إيراد أخباره وعلومه، والثناء على نبوغه، واتقاد فكره، وجزالة

المجلد الثاني
العدد الثالث
مارس 2024

مجلة جامعة درنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
DERNA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Available online at https://dujhss.uod.edu.ly/
P-ISSN: 2959-6475 E-ISSN: 2959-6483 Impact Factor: 0.349

أدبه، دون إغفال تقواه وورعه، وعلى سبيل المثال نقتبس مما أورده الذهبي قوله ((كان موثقا نبيلا بليغا شاعرا))(الذهبي). ومما جاء في يتيمة الدهر للثعالبي قوله ((إنه أحد محاسن الأندلس علما وأدبا ومثلا وشعرا، في نهاية الجزالة والبلاغة والطلاوة))(الثعالبي)، ويقول عنه الحميدي ((كان لأبي عمر بالعلم جلالة، وبالأدب رياسة وشهرة، مع ديانته وصيانته، واتفقت له الأيام وولايات العلم ، فساد بعد خمول، وأثرى بعد فقر، وأشير بالتفضيل له، إلا أنه غلب الشعر عليه))(الحميدي1952)، ومن آراء المقري فيه ((أنه عالم ساد بالعلم ورأس واقتبس به من الحظوة ما اقتبس، وشهر بالأندلس، حتى سار إلى المشرق ذكره، واستطار شرر الذكاء فكره، وكانت له عناية بالعلم، وثقة ورواية له متسقة، وأما الأدب فهو كان حجته، وبه غمرت الأفهام لجته، مع صيانة وورع وديانة ورد ماءها فكرع، وله التأليف المشهور الذي سماه بالعقد))(المقري)

ج- شعره :

كان أول ظهور لابن عبدربه في عهد الإمارة أيام الأمير محمد، وقد عاصر ابنيه المنذر وعبد الله، ثم امتد به الأجل، حتى كان من ألمع شعراء فترة الخلافة، أيام عبد الرحمن الناصر(هيكل1985)، وأكثر شعر ابن عبدربه وأجمله في الوصف والغزل، وهو يجمع بين جزالة المشرقيين، وعذوبة المغربيين(خفاجي). ومن أبرز ما يميز شعر ابن عبد ربه لغته السهلة، فألفاظه لينة سلسة، تطرق الفؤاد دون استئذان، ومن مميزات شعره أيضا أنه أقرب إلى الغناء، فالجانب الموسيقي يطغى على كثير من قصائده. وقد أشار الدكتور أحمد هيكل إلى هاتين السمتين في كتابه الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة(هيكل)، ومن الأغراض الشعرية التي طرقها ابن عبدربه إلى الهجاء والمدح والرثاء والغزل والزهد، وبالطبع قد تعرض في سبيل هذه الفنون إلى الوصف، كما أن البعض ينسب إليه فن الموشحات وإن لم يوجد في شعره ما يدل على ذلك(جبور). ورغم إشادة القدماء بشعر ابن عبدربه، ووضعهم له في مصاف كبار الشعراء، فإن المحدثين اختلفوا فيه، فمضى بعضهم على مذهب القدماء في الثناء عليه، ورأى بعضهم أن شعره من قبيل التصنع، وليس للطبع فيه مكان، فعلى سبيل المثال يرى الأستاذ أحمد أمين في كتابه ظهر الإسلام أن ابن عبدربه قيد نفسه بموضوعات الشعر الشرقية، وبحور الشعر المأثورة وقوافيه لا يخرج عنها(أمين1983)، ويقول الأستاذ أحمد ضيف)) والحق أن مقطوعاته الشعرية في الغزل والوصف من أرق الشعر المعروف في ذلك وأحسنه، وكلها من قبيل الصناعة، وحب الكلام الجميل، لأنه كان من الذين يميلون إلى قول الشعر.))(ضيف أحمد 1924). والحقيقة أن الموهبة لا تنقص ابن عبدربه، ولعل تفرغه للأدب قد أخذ جل وقته، ورغم ذلك ترك لنا ديواناً – وإن صغر–طرق فيه أكثر الأغراض الشعرية.

المجلد الثاني
العدد الثالث
مارس 2024

مجلة جامعة درنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
DERNA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Available online at https://dujhss.uod.edu.ly/
P-ISSN: 2959-6475 E-ISSN: 2959-6483 Impact Factor: 0.349

2- الاتجاه الثاني: وصف الطبيعة:

أكثر ابن عبدربه في ديوانه من وصف الطبيعة، شأنه في هذا شأن شعراء الأندلس الآخرين، الذين تأثروا بجمال الأندلس، وطبيعتها الفاتنة، فنجد الوصف أكثر الأغراض حضورا في دواوينهم، بل إنه قد يختلط بالأغراض الأخرى. ولم يكن ابن عبدربه استثناء من هذا التيار، فقد أفاض في وصف الطبيعة بجميع مجالاتها، ويمكن تقسيم وصف الطبيعة عنده إلى:

1- وصف الطبيعة الصامتة:

يكثر ابن عبدربه في ديوانه من وصف الطبيعة الصامتة، ومن أبرز مظاهرها في ديوانه، وصف النباتات، بمختلف أنواعها سيما النامية في بلاد الأندلس، من ذلك قوله في وصف روضة:

وَرَوضَةٍ عَقَدتْ أيدي الرَّبِيعِ بها

نَورا بنَورٍ وتَزوِيجًا بتَزوِيجِ

بِمُلقَحٍ مِن سَوَارِيها وَمُلقَحَةٍ

وَنَاتِجٍ مِن غَوَادِيها وَمَنتُوجِ

تَوَشَّحَتْ بمُلَاةٍ غَيرِ مُلحِمةٍ

مِن نَورِها، وَرِداءٍ غيرِ مَنسُوجِ(ابن عبدربه)

ويقول أيضاً في وصف بعض الرياض:

بأَكرِ الرَّوضَ في رِيَاضِ السُّرورِ

بَينَ نَظْمِ الرّبيعِ والمَنْثُورِ

فِي رِياضٍ مِن البَنَفسَجِ يَحكِي

أَثَرَ العَضّ في بَيَاضِ الصُّدُورِ(الديوان ابن عبدربه)

ويقول في المقارنة بين خلائق أحد الممدوحين وبين أزهار الرياض:

وَمَا رَوضَةٌ بِالحَزنِ حالك بِهَا النَّدَى

بُرُودَاً مِنَ المَوشِي حُمرَ الشَّقَائِقِ

يُقِيم الدُّجَى أَعنَاقَهَا وَيُمِيلُهَا

المجلد الثاني
العدد الثالث
مارس 2024

مجلة جامعة درنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
DERNA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Available online at https://dujhss.uod.edu.ly/
P-ISSN: 2959-6475 E-ISSN: 2959-6483 Impact Factor: 0.349

شُعَاعُ الضُّحَى المُستَنُّ فِي كُلِّ شَارِقِ

إذا ضَاحَكَتْهَا الشَّمْسُ تَبْكِي بِأَعيُنٍ

مُكَلّلَةِ الأَجْفَانِ صُفْرَ الحَمَالِقِ

بِأَطْيَبَ نَشْرَاً مِنْ خلائِقِك الّتِي

لَهَا خَضَعَتْ فِي الحُسْنِ زُهْرُ الخَلائِقِ(الديوان ابن عبدربه)

كما وصف الزهور وشجيرات الورود كقوله في وصف السوسن مثلاً:

كَم سَوْسَنٍ لَطفَ الحَياءُ بِلَونِهِ

فَأَصَارَهُ وَرْدَاً عَلَى وَجَنَاتِهِ(الديوان ابن عبدربه)

وقوله في وصف الورد والريحان:

رَيَاحِينُ أُهْدِيهَا لِرَيْحَانةِ المَجْدِ

جَنَتْها يَدُ التَّخْجِيلِ مِن حُمرَةِ الخَدِّ

وَوَردٌ بِهِ حَيَّيتُ غُرةَ مَاجِدٍ

شَمَائلُهُ أذكَى نَسِيمَاً من الوَردِ

بَعثتُ بهِ زَهراءَ مِن فَوقِ زَهرةٍ

كَتركِيبِ مَعشُوقينِ حَداً عَلى حَدِ(الديوان ابن عبدربه)

كما أكثر من وصف الثمار، ومنها مثلا العنب، كقوله في وصف عنب أهدي إليه:

أُهْديتُ بِيضَاً وَسُودَاً في تَلوّنِها

كَأنّها مِن بَناتِ الرُّومِ والحَبَشِ

عَذرَاءَ تُؤكَلَ أحْيانَا وتُشربُ أحْ

يَانَا فَتعَصِمُ مِن جُوعٍ ومِن عَطشِ(ديوان ابن عبدربه

ومن مظاهر الطبيعة الصامتة التي دار ذكرها في ديوانه المباني، كالقصور والقلاع والحصون، ومن ذلك قوله يصف قصراً:

المجلد الثاني
العدد الثالث
مارس 2024

مجلة جامعة درنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
DERNA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Available online at https://dujhss.uod.edu.ly/
P-ISSN: 2959-6475 E-ISSN: 2959-6483 Impact Factor: 0.349

أَلِمَّا عَلى قَصْرِ الخَليفَةِ فَانظرا

إِلى مُنيةٍ زَهرَاءَ شِيدَتْ لِأَزْهرَا

مُزَوَقةٍ تَستَودعُ النَّجمَ سِرَّها

فَتَحسبُهُ يُصغِي إليهَا لِتُخبِرا

بِنَاءٌ إِذا مَا الليلُ حَلَّ قِنَاعَهُ

بدا الصُّبحُ من أَعرَافِهِ الشُمّ مُسفِرا (ديوان ابن عبدربه)

كما وصف مظاهر المناخ، المتمثلة في حركة الريح والمطر والمزن، كقوله مثلاً:

مَازِلتُ أَبكِي حِذارَ البَينِ مُلتهِفا

حَتى رَثَى لِيَ فِيكَ الرِّيحُ والمَطرُ

يَا بَردَهُ مِن حَيا مُزنٍ على كبدٍ

نِيرانُها بِغليلِ الشّوقِ تستعرُ

آليتُ ألا أرى شَمسا ولا قمرا

حتى أراكَ فأنت الشَّمسُ والقمرُ(ديوان ابن عبدربه)

ومن موصوفاته الصامتة السفن، يقول في وصف سفينة:

بَحرٌ يسيرُ على بحرٍ بجاريةٍ

للبحرِ حاملةٍ ، بالبحرِ تُحتَملُ

كأنها جَبلٌ في البحرِ منتقلٌ

يا مَن يرى جَبلاً في المَاءِ يَنتقلُ

تَحكِي العَروسَ تَهادَى في تَأودِها

وقدْ أطَافتْ بها الدَّاياتُ والخوَلُ(ديوان ابن عبدربه)

كذلك عرض لوصف الآلات الموسيقية، يقول في وصف عود:

كَأنما العُودُ فيما بَيننا مَلِكٌ

المجلد الثاني
العدد الثالث
مارس 2024

مجلة جامعة درنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
DERNA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Available online at https://dujhss.uod.edu.ly/
P-ISSN: 2959-6475 E-ISSN: 2959-6483 Impact Factor: 0.349

يَمشِي الهُوينَا وَتَتلوهُ عَساكِرُهُ

صَوتٌ رَشيقٌ وَضربٌ لَو يُراجِعُهُ

سَجعُ القَرِيضِ إذا ضَلّتْ أسَاطِرُهُ

لَو كانَ زِريابُ حَياً ثم أَسمَعَهُ

لَمَاتَ مِن حَسدٍ إذ لا يُناظِرُهُ(ديوان ابن عبدربه)

ومن مظاهر الطبيعة الصامتة التي وصفها في ديوانه الأسلحة، ومنها مثلا الرمح والسيف، إذ قال فيهما:

بِكُلِّ رُدَينِي كَأنَّ سِنَانَهُ

شِهابٌ بَدا فِي ظُلمَةِ اللَّيلِ سَاطِعُ

وَذِي شُطَبٍ تَقضِي المَنايا بِحُكمِهِ

وَلَيسَ لِما تَقضِي المَنيَّةُ دَافعُ(29).

ومن أشهر مواضيع الطبيعة التي طرقها كروية الأرض، التي أنكرها، ويقول في ذلك:

وقُلتَ إن جَميعَ الخَلقِ فِي فَلَكٍ

بِهم يُحِيطُ وفِيهِم يَقسِمُ الأجَلَا

وَالأَرْضُ كُرَويةٌ حَفّ السَمَاءُ بِها

فَوقَاً وتَحْتاً وصَارتْ نُقطةً مَثلَا

صَيفُ الجَنوبِ شِتَاءٌ للشَمَالِ بِها

قَد صَارَ بَينَهُما هَذا وذَا دُوَلا

أَبلِغْ مُعَاويةَ المُصْغِي لقَولِكما

أَنّي كَفرْتُ بِما قَالا وَمَا فَعَلا(ديوان ابن عبدربه)

2-وصف الطبيعة الحية:

من مظاهر الطبيعة التي جرى ذكرها عند الشاعر، الكائنات الحية كالإنسان والحيوان.

المجلد الثاني
العدد الثالث
مارس 2024

مجلة جامعة درنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
DERNA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Available online at https://dujhss.uod.edu.ly/
P-ISSN: 2959-6475 E-ISSN: 2959-6483 Impact Factor: 0.349

ففيما يتعلق بالإنسان فيكثر ابن عبدربه – بحكم ارتباطه بالخمر والغناء– من ذكر الغلمان والجواري والندامى وسقاة الخمر والمغنين.

كقوله في وصف ساقٍ مثلاً:

أَهدتْ إليكَ حُميَّاهَا بِكَأسَينِ

شَمسٌ تَدَبَّرْتهَا بِالكَفِّ والعَينِ

يَسْعَى بِتلكَ وهَذي شَادِنٌ غَنِجٌ

كَأنَهُ قَمرٌ يَسعَى بِنَجْمينِ

كَأنّهُ حِينَ يَمشِي في تَأوّدِهِ

قَضِيبُ بانٍ تَثنّى بين رِيحَينِ(ابن عبدربه)

وقوله في وصف مغنٍ:

رَجعُ صَوتٍ كَأنهُ نَظمُ دُرٍ

مَا يَرى سِلكَهُ سِوى الآذَانِ

تَنفُثُ السِّحرَ بِالبَيانِ مِن القَو

لِ وَلاسِحرَ مِثلُ سِحرِ البَيانِ(ابن عبدربه)

كما وصف أكثر الحيوانات الموجودة في بيئته، ومن أبرزها الخيل، إذ يقول في وصفها:

وإذا جِيادُ الخَيلِ مَاطَلَها المَدى

وَتقطّعتْ مِن شَأوِهَا المَبْهُورِ

خَلُّوا عِنَانِي فِي الرِّهَانِ ومَسّحُوا

مِنّي بِغُرَّةِ أَبلقٍ مَشهُورِ(ابن عبدربه)

وكذلك وصف الحيوانات المنتشرة في عصره، كلاب القنص؛ لكثرة النزهات ورحلات الصيد. ومن ذلك قوله في وصف كلب قنص:

يَقتَنِصُ الأَنفُسَ باسْتِلابِهْ

المجلد الثاني
العدد الثالث
مارس 2024

مجلة جامعة درنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
DERNA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Available online at https://dujhss.uod.edu.ly/
P-ISSN: 2959-6475 E-ISSN: 2959-6483 Impact Factor: 0.349

كَلبٌ يُلقَّى الوَحيَ مِن كِلابِهْ

يَمُونُ أَهلَ البَيتِ بِاكتِسابِهْ

أَهبَبْتُه فانصَاعَ في إِهابهْ

كَأَنَّهُ الكَوكَبُ في انصِبابِهْ

أَو قَبسٌ يُلقَط من شِهابِهْ(ابن عبدربه)

كما وصف الأسد، كقوله في وصفه مثلاً:

لَيثٌ تَطِيرُ لهُ القُلوبُ مَهابةً

مِن بَينِ هَمْهَمةٍ لهُ وَزَئيرِ

وَكَأَنَّما يُومِي إليك بِطَرفِهِ

عنْ جَمرَتَينِ بِجلمَدٍ مَنقُورِ(ابن عبدربه)

ومن الحيوانات التي وصفها في ديوانه أيضاً الحوت. يقول في حوتين أهداهما:

أَهْدَيْتُ أَزْرَقَ مَقْرُونَاً بِزَرْقَاءِ

كَالمَاءِ لَمْ يَغْذَهَا شَيْءٌ سِوَى المَاءِ

ذَكَاتُهَا الأَخْذُ ما تَنْفَكُّ طَاهِرَةً

بِالبَرِّ والبَحْرِ أَمْوَاتَاً كَأَحْيَاءِ(ابن عبدربه)

ومن موصوفاته الغراب، إذ يقول في وصفه:

لَغَبَ الغُرابُ فقلتُ أَكذَبُ طَائرٍ

إِنْ لم يُصدِقْهُ رُغاءُ بَعيرِ

رِدُ الجَمالِ هُو المُحقّقُ للنَّوى

بل شَرُّ أَحْلاسٍ لَهُنّ وَكُورِ(ابن عبدربه)

كما يكثر في ديوانه من ذكر الحمام ووصفه، ومن ذلك قوله في وصف حمامة:

لَقَدْ سَجَعَتْ فِي جُنْحِ لَيْلٍ حَمَامَةٌ

المجلد الثاني
العدد الثالث
مارس 2024

مجلة جامعة درنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
DERNA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Available online at https://dujhss.uod.edu.ly/
P-ISSN: 2959-6475 E-ISSN: 2959-6483 Impact Factor: 0.349

فَأَيُّ أَسَى هَاجَتْ عَلَى الهَائِمِ الصَّبِّ

لك الوَيْلُ كَمْ هَيّجْتِ شَجْوَى بِلَا جَوَى

وَشَكْوَى بِلَا شَكْوَى وَكَرْباً بِلَا كَرْبِ(ابن عبدربه)

3-الاتجاه الثالث: وصف طبائع البشر وصفاتهم وأحوالهم

يعد ديوان الشاعر ابن عبدربه صدى لحياة المجتمع الأندلسي في عصره، فيكثر فيه من ذكر العلاقات الاجتماعية ، كالعلاقة بين الأصدقاء والأقارب، وكذلك ذكر حياة البلاط، وما فيها من مراسم واستقبالات، وما ينطوي عليه المجتمع من صفات كالبخل والكرم ومكارم الأخلاق.

فمن علاقته بالحاكم والبلاط قوله مثلاً في وصف الحجّاب:

مَا بَالُ بَابِكَ مَحْجُوباً بِبَوّابِ

يَحْمِيهِ من طَارِقٍ يَأْتِي وَمُنْتَابِ

لايَحْتَجِبْ وَجْهُكَ المَمْقُوتُ عَن أحَدٍ

فَالمُقْتُ يَحجُبُهُ مِن غَيرِ حُجَّابِ (ابن عبدربه)

ومن أمثلة وصفه لمكارم الأخلاق يقول عن حكمة تمييز الله للإنسان بالعقل :

يَا غَافِلا ما يَرى إلّا مَحَاسِنَهُ

وَلَو دَرَى مَا رَأَى إلا مَسَاوِيهِ

أُنْظُرْ إِلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا فَظَاهِرُهَا

كُلُّ البَهَائِمِ يجْرِي طَرفُهَا فِيهِ(ابن عبدربه)

ومن أمثلة وصفه لمكارم الأخلاق قوله:

يَامَنْ تَجَلَّدَ للزَّمَا

نِ، أمَا زَمَانُكَ مِنْكَ أَجْلَدْ؟

سَلِّطْ نُهَاكَ عَلَى هَوَا

كَ وَعُدَّ يَوْمَكَ لَيْسَ مِنْ غَدْ

المجلد الثاني
العدد الثالث
مارس 2024

مجلة جامعة درنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
DERNA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Available online at https://dujhss.uod.edu.ly/
P-ISSN: 2959-6475 E-ISSN: 2959-6483 Impact Factor: 0.349

إنَّ الحَياةَ مَزَارِعٌ

فَازْرَعْ بِهَا مَا شِئْتَ تَحْصُدْ(ابن عبدربه)

أما عن الصداقة فيقول في وصف صديق السوء:

غُلَتْ بِأَعْنَاقِهِم أَيْدٍ مُقَفَّعَةٌ

لّا بُوْرِكَتْ مِنْهُمُ أَيْدٍ وَأَعْنَاقُ

كَأَنّمَا بَيْنَهُم فِي مَنْعِ سَائِلِهِم

وَحَبْسِ نَائِلِهِمْ عَهْدٌ وَمِيْثَاقُ(ابن عبدربه

ومن الخلائل التي وصفها البخل والشح، ومن ذلك قوله:

رَجَاءٌ دُوْنَ أَقْرَبِهِ السّحَابُ

وَوَعْدٌ مِثْلَمَا لَمَعَ السّرَابُ

وَتَسْوِيْفٌ يَكِلُّ الصَّبْرُ عَنْهُ

وَمَطْلٌ مَا يَقُومُ لَهُ حِسَابُ

كِلَابٌ لَو سَأَلْتَهُمُ تُرَابَاً

لَقَالُوا: عِنْدَنَا انْقَطَعَ التُّرابُ (ابن عبدربه

وكما وصف البخل وصف قيمة الكرم والجود أيضا، ومن ذلك قوله:

كَرِيمٌ عَلَى العِلّاتِ جَزْلٌ عَطَاؤُهُ

يُنِيلُ وَإِنْ لَمْ يُعْتَمَدْ لِنَوَالِ

وَمَا الجُودُ مَنْ يُعطِي إِذَا ما سَأَلتَهُ

وَلَكنّ مَنْ يُعْطِي بِغَيرِ سُؤَالِ (ابن عبدربه)

ومن الأمور التي ورد وصفها في شعره من متعلقات البشر، الابتلاء بالأمراض، وما يتصل به من الأعراض والعلاج، وزيارات المواساة، ويمكن التمثيل على ذلك بوصف النحول والهزال، المصاحبة عادة للمرض، كقوله:

المجلد الثاني
العدد الثالث
مارس 2024

مجلة جامعة درنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
DERNA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Available online at https://dujhss.uod.edu.ly/
P-ISSN: 2959-6475 E-ISSN: 2959-6483 Impact Factor: 0.349

لَمْ يَبْقَ مِنْ جَثْمَانِهِ

إِلّا حَشَاشَةُ مُبْتَئِسْ

قَدْ رَقّ حَتّى ما يُرَى

بَلْ ذَابَ حَتَّى مَا يُحِسْ (ابن عبدربه)

ويقول في عيادة المريض:

لّا غَرْوَ إِنْ نَالَ مِنْكَ السُّقْمُ وَالضّرَرُ

قَدْ تُكْسفُ الشّمْسُ لَا بَلْ يُخْسَفُ القَمَرُ

إِنْ يُمْسِ جِسْمُك مَوْعُوكَاً بِصَالِيَةٍ

فَهَكَذَا يُوعَكُ الضُّرغَامَةُ الهَصِرُ (ابن عبدربه)

ومن الأشياء التي وصفها في ديوانه الشيب، يقول عنه:

سَوَادُ المَرْءِ تُنْفِذُهُ الليالي

وَإِنْ كَانَتْ تَصِيرُ إِلَى نَفَادِ

فَاَسْوَدُهُ يَصِيرُ إِلَى بَيَاَضٍ

وَأَبْيَضُهُ يَعُود إِلى سَوَادِ (ابن عبدربه)

ومن الأشياء المرتبطة بالشيب الخضاب، وقد ورد وصفه في ديوان ابن عبدربه، إذ يقول في وصفه:

أَصَمّمَ فِي الغِوَايَةِ أَمْ أَنَابَا

وَشَيبُ الرَأْسِ قَدْ خَلَسَ الشَّبَابَا

إِذَا نَصَلَ لخِضَابُ بَكَى عَلَيهِ

وَيَضْحَكُ كُلّما وَصَل الخِضَابَا (ابن عبدربه)

ومن الأشياء التي تقع في عصره ووصفها في ديوانه الحروب، يقول في وصف معترك:

وَمُعْتَرَكٍ تَهُزُّ بهِ المَنَايَا

ذُكُورَ الهِنْدِ فِي أَيْدِي الذّكُورِ

المجلد الثاني
العدد الثالث
مارس 2024

مجلة جامعة درنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
DERNA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Available online at https://dujhss.uod.edu.ly/
P-ISSN: 2959-6475 E-ISSN: 2959-6483 Impact Factor: 0.349

لَوَامِعُ يُبصِرُ الأعْمَى سَنَاهَا

وَيَعمَى دُونَهَا طَرفُ البَصِيرِ

تُحَوِّمُ حَولَها عُقْبَانُ مَوتٍ

تَخَطَّفَتِ القُلُوب مِن الصُّدُورِ(ابن عبدربه)

الخاتمة:

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، خير البشر أجمعين، وشفيعنا يوم الكرب العظيم. وبعد فقد قامت هذه الدراسة بتسليط الضوء على شعر الوصف عند ابن عبدربه، وقد توصلت هذه الدراسة إلى عدة نتائج هي:

1- رغم أن الوصف لم يكن غرضا أصيلا في شعر ابن عبدربه _ لانصرافه لأغراض أخرى كالغزل والخمر – فيمكننا اعتباره من شعراء الوصف.
2- الحياة المتنوعة التي عاشها ابن عبدربه كأديب وسياسي ومثقف، جعلت هذا الغرض شاملا لأطوار الحياة في عصره.
3- تبرز الثقافة الواسعة لابن عبدربه، من خلال إبدائه لبعض الآراء ، كحديثه عن كروية الأرض.
4- يمتاز الوصف عند ابن عبدربه بالسهولة والوضوح في ألفاظه ومعانيه.
5- يكثر في شعر ابن عبدربه المزج بين الوصف والأغراض الأخرى كالغزل والمدح والزهد.
6- من الأشياء الملاحظة في شعر ابن عبدربه تشخيصه للطبيعة أي إعطاؤها صفة الأحياء من مشاعر وأحاسيس، وغيرها من الصفات البشرية.

المجلد الثاني
العدد الثالث
مارس 2024

مجلة جامعة درنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
DERNA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Available online at https://dujhss.uod.edu.ly/
P-ISSN: 2959-6475 E-ISSN: 2959-6483 Impact Factor: 0.349

قائمة المصادر والمراجع

- ابن عبدربه وعقده، جبرائيل جبور، المكتبة الكاثوليكية، بيروت م1933م.
- الأدب الأندلسي (التطور والتجديد)، د. محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الجيل بيروت.
- الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، د. أحمد هيكل، دار المعارف 1985م.
- الأصول الفنية للشعر الأندلسي (عصر الإمارة)، د. سعد إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة.
- بلاغة العرب في الأندلس، أحمد ضيف، مطبعة مصر 1924.
- تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات الأندلس)، شوقي ضيف.، دار المعارف.
- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر. للحميدي، تحقيق: محمد الطبجي مكتبة نشر الثقافة الإسلامية القاهرة ،ط1، 1952م.
- ديوان ابن عبدربه، تحقيق: محمد التونجي، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى.
- سير أعلام النبلاء للذهبي.، تحقيق إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة،ج15 ، ط13.
- ظهر الإسلام، أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية،1983م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب المقري ،تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، القاهرة 1369،ج9.
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر للثعالبي، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت ،ط1 ،1983.